وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو
كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل
بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله
تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه
وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك
وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها
يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد
الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وفي اول — العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذه
غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا
وتعييرا او قيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على
انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو
نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة
القتال في الشهر الحرام فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله سبحانه
وتعالى من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي
وصد المسجد الحرام كقول ابي داود

اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد في الليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ
لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الها في به فان العطف

على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ
وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي
ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم
لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق
بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة
بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والمراد
بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما
تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت
ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان
العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا
خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر
روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير
فشجه فلما سكروا وتناشدوا فاشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره
سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا

Copyright © King Saud University